

مسيح عيد الميلاد المجيد

هل سبقَ وتساءلتَ كيف أن رجلَ شرقٍ أوسطي أصبحَ شعبي جداً في الغرب، حيث تركزت العطل الأساسية في الألفيتين الماضيتين على تاريخ ولادته؟ ما الفريد في رسالته؟ وان كان نبي، لماذا جاء؟ وماذا يريد مني؟

دعنا نتفحصُ أسبابَ شعبيته.

قد تجمع حول السيد المسيح حشود كبيرة من الأتباع لثلاثة أسباب رئيسية: تعاليمه، أعماله، وآمال الشعب اليهودي.

تعاليمه: عندما نقرأ عن السيد المسيح في الانجيل، نجد أن الناس "استمعت إليه ببهجة" و"كانت مندهشة من تعاليمه، لأنه قد علم كشخص ذو سلطان، وليس كمعلمي الشريعة الذين كانوا في ذلك الزمان". الزعماء الدينيون في ذلك الوقت كانوا بشكل أساسي رجال أغنياء. وقد كانوا الوحيديين الذين يملكون الوقت لأداء كل الطقوس والمطالبات التي هم بأنفسهم أضافوها إلى قانون موسى. مما جعل الناس العاديين يبدون كأنهم متروكين ويستحال أن يكونوا روحانيين. لكن السيد المسيح أراهم وجه جديد لإيمانهم، أخبرهم بأن الذي في القلب هو أكثر أهمية من الطقوس. أخبرهم بأن "المساكين في الروح" قد بوركوا، وأن الله يهتم بهم كأنه "أبوهم" السماوي.

لم يسبق لهؤلاء الناس بأن رؤوا الله الخالق بمثل هذا الوضوح والقرب! فقد تكلم السيد المسيح بشكل مفتوح ضد نفاق الزعماء القانونيين. أخبر قصص مبهمة دعت "الأمثال"، التي كان لها معاني مخفية عميقة. قد عمل المسيح كل هذا وهو يحمي، وأيضا يُنجزُ الشريعة. لا عجب بأن الناس كانوا "مملوئين بالدهشة" و"كل شخص مجد المسيح". (إنجيل مرقس 37:12 و15:9؛ إنجيل لوقا 4:15،32؛ إنجيل متى 3:5 و9:6 و28:7).

أعماله: المرض والموت أمور مشتركة في كل جيل. وقد عمل المسيح معجزات لم يكن لها مثيل، وهذه الهبة المدهشة كانت السبب الذي جمع حشود كبيرة بالقدوم والسيد المسيح قام وشفى الكثير من الناس، فالعرج يمشون، والعمي يبصرون، والصم يسمعون، والموتى يحيون!

وبعيدا عن كل هذا، حفظ المسيح نفسه وحياته الشخصية من دون خطيئة، فهو لم يخذع أحدا، فقد كان رحيماً، لكن صارماً في مواجهة الخطيئة، وضرب المثل الأعلى بالتواضع بأن يكون "القائد الخادم"، لكنه علم واعتنى بجميع الناس؛ فهو لم يعمل أي عمل عنيف ولم يدعم أي عمل شرير. فقد كانت حياة المسيح هي الحياة النموذجية التي لم يعيشها أحد من قبله ولا حتى بعده.

وعندما اقتادوا المسيح ليحاكموه كثيرا من اليهود الزور شهدوا ضده. فعندما سأله رئيس الكهنة، "هل أنت المسيح، إبن الله المبارك؟" فأجاب المسيح عن قصد، "أنا هو". مع أنهم كانوا يتوقعون السيد المسيح (الذي يعني "المسيح المنتظر")، إلا أن الزعماء اليهود قد حكموا على المسيح بالموت بسبب غيرتهم. (مرقس 14:62,61).

آمال الشعب اليهودي: جلب الرومان العديد من المنافع معهم، فقد بنوا طرق جيدة، ووحدوا الثقافة في كافة أنحاء البحر الأبيض المتوسط القديم. ومع ذلك، كانوا قساة وفرضوا ضرائب عالية. فهذا النير كان ثقيل على الشعب اليهودي، وبقي تحت ظلم الاحتلال الأجنبي لمدة طويلة، وكان الشعب ينتظر الخلاص والتحرر بلهفه. فهم تمنوا وصلوا من أجل المخلص "المسيح المنتظر".

كان هناك العديد من النبوءات القديمة عن النبي الذي سيعيد مجد إسرائيل ويحكم على عرش داود. فالكثيرين قد جاؤوا قبله وبعده، لكن أسلوبهم كان مختلف جداً، ولم يُطابقوا النبوءات. فقد أوصوا وشجعوا على التمرد، لكن محاولاتهم كانت ضعيفة لإزالة الحكم الروماني. وعندما جاء السيد المسيح بسلطانه العجيب، ليس فقط على الأمراض ولكن على الطبيعة أيضا - فقد هذا العواصف، وحول الماء إلى النبيذ، وضاعف الخبز ليشبع 5,000 شخص، فالمسيح كان أفضل مرشح للمسيح المنتظر المتوقع قدمه. يُقال لنا في التوراة بأن الناس حاولوا أن يجعلوه ملك عليهم بالقوة، لكنه منعه. (يوحنا 6:14,15 و12:13) تخيل إحباطهم عندما رفض المسيح استعمال قوته العظيمة تجاه السياسة، لكن كان هناك مجموعة أخرى من النبوءات التي أهملها الناس: المسيح المنتظر يجب أن يعاني. فضلل الناس أن لا يفكروا بشأن هذا، لذا السيد المسيح جلبه إلى إنتباههم. (مرقس 9:12، لوقا 24:26,27) وأيضاً حذر المسيح تلاميذه بأن حياته اقتربت من نهاية عنيفة وهي موته وبعد الموت القيامة، لكن هذه الفكرة كانت خارج توقعاتهم حتى أنهم لم يستطيعوا أن يفهموا كلماته حتى بعد حدوثها. (مرقس 10:33؛ لوقا 18:31-33) هل هذا قد فاجأك أنت أيضاً؟

لماذا يجب أن نتبع السيد المسيح؟ جاء العديد من الرجال يدعون بأنهم أنبياء ويطلبون منا أن نتبعهم، على سبيل المثال: موسى، محمد، جوزيف سميث، والقس مون. رسائلهم تختلف، لذا ليس من الصواب أن نتبع جميعهم. إذا "كيف يجب أن نختار؟ يُسجّل تلميذ السيد المسيح يوحنا كيف أن المسيح أجاب هذا التحدي في (يوحنا 5)، عندما قال: "ان كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقا". ثم أعطى السيد المسيح ثلاثة أسباب منطقية لإتباعه، والتي ما زالت صحيحة الى اليوم: **شهادة نبي مهم، عمله، والنبوءات.**

(1) **يوحنا المعمدان** (يحيى في القرآن) كان نبي مهم، أُعتبر إلى حد كبير من قبل الناس. شهد بأن السبب الأساسي لمجيئه كان أن يمهد الطريق أمام المسيح المنتظر ويشهد له. هو عرف السيد المسيح كالمسيح المنتظر، ودعاه أيضا، "حمل الله الذي يأخذ ذنوب العالم". (يوحنا 1:29، مرقس 11:32).

(2) **عمله.** كما قد ورد سابقا، كانت لخدمة السيد المسيح التأثير الهائل، وقد أعلن وأشار لها المسيح كاثبات لسلطانه.

(3) **النبوءات** بخصوص المسيح المنتظر أتم المسيح بشكل واضح جميع النبوءات، بما فيها الـ61 نبوة رئيسية. إذ أن اتمام 8 منهم بشكل تام وجمعها بشخص واحد يعتبر أمرا "مستحيلا".

لا نبي آخر غير المسيح كان عنده كل هذا الكم الهائل من الأدلة الداعمة له. حتى بعد قيامته، ما زال يجلب الخير إلى الأرض: فعلى صعيد حياة الأفراد فان المسيح يشفي ويغير الحياة؛ و أما على الصعيد الجماعي، فالأمم احترمت المسيح وتبعته، وأيضا كما رأينا وجدنا كيف كثير من الشعوب أمنت بالمسيح، لتخرج من الظلام إلى الحرية.

كيف كل هذا يؤثر عليك شخصيا؟

كما أن النبي آدم طرد من الجنة بسبب العصيان، هكذا **ذنوبنا تفصلنا عن الله.** وبما أن الله قد عاقب النبي آدم، إذا "سيُعاقبنا نحن أيضا" بالتأكيد. "لأن أجره الخطية هي موت". (رسالة رومية 6:23). لكن الله يحب كل واحد منا! وهو يريد أن يكون في علاقة معنا على الأرض، وكذلك إلى الأبد في الجنة. لأن الله عادل، ولكن العقوبة يجب أن تدفع. لذلك، قدم الله البديل لعقابنا، كما قدم الله الكبش للنبي إبراهيم ليضحي به بدلا من ابنه، كما يحدث في عيد الأضحى. فبهذه الطريقة، يرينا الله بأنه سيقبل التضحية كبديل. ولأن الله وحده الكامل، فقد جاء إلى الأرض في هيئة إنسان ليكون "حمل الله المثالي" في السيد المسيح. **وموت المسيح الكفاري فقط الذي يرضى عدالة الله،** وقيامه المسيح من الموت تثبت بأنه يملك السلطة على الخطية "الذنب" والموت!

نحن **يجب أن نقبل بتواضع وأن نخضع لطريقة الله في الخلاص،** وأن نقبل طريقة الله التي اختارها ليمنحنا رحمته. ونحن يجب أن نعترف بأننا خطاة ولا يمكن أن نكون مثاليين. فنحن يمكننا عن طريق الصلاة، أن **نقبل السيد المسيح كمخلص لنا.** وأن نقبل موته بدلا عنا، وأن نطلب منه المجيء إلى قلوبنا! فعندئذ سنضمن خلاصنا، وسيُرسل الله لنا الروح القدس ليكون مرشد لنا. "لأن أجره الخطية هي موت". وأما هيئة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا... ان اعترفت بفمك بالرب يسوع و أمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت." (رسالة رومية 6:23 و 10:9)

عندما نقبل يسوع المسيح كمخلص لنا، فإننا يجب أن **نتبع "الطريق"** الذي يريدنا الله أن نعيشه. ليس لنحصل من خلاله على الخلاص، بل لنرضي الله ونفرحه وأيضا لكي ننمو. لذلك يجب علينا أن نقرأ الكتاب المقدس يوميا، وأن نتأمل به ونصلي؛ وأن نحب الله أكثر من كل شيء، وأن نحب الآخرين كأنفسنا؛ فالمؤمنين يجتمعون مع بعضهم البعض حتى يصلوا ويشجعوا بعضهم بعضا ويطلبوا حضور الله؛ ويتشاركون أيضا في نقل الأخبار السارة "الانجيل" لكل شخص نقابله!